تفسير

سورة البَلد[١]

بسم الله الرحمن الرحيم

١. ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ﴾ . أجمع المفسرون على أن هذا قسم بالبلد الحرام[٢] ، والسورة نازلة بها .

---

(١) مكيــة بالإجماع قال بذلك ابن الجوزي في زاد المســير ٨/ ٢٥٠ ، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ٥٩ . قال أبو حيان في البحر المحيط ٨/ ٤٧٤ : «هذه الســورة مكيــة في قول الجمهور» ، وقال الشوكاني في فتح القدير ٥/ ٤٨٣ : «قيل : إنها مدنية» .

(٢) وممــن حكى الإجماع على أن المراد بالبلد هو مكة : ابن عطيــة في المحرر الوجيز ٥/ ٤٨٣ ، والفخر في التفســير الكبير ٣١/ ١٨٠ ، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ٦٠ ، والخازن في لباب التأويل ٤/ ٣٧٩ ، والشــوكاني في فتح القدير ٥/ ٤٤٢ . ولم يذكر الطبري في جامع البيان ٣٠/ ١٩٣ اختلافاً في الآية . والمفسرون على أنه أقســم بالبلد الحرام ، قال بذلك قتادة ، وابن عباس ، ومجاهد ، وعطاء ، وابن زيد ، وســعيد بن جبير ، وأبو صالح ، وعطية . انظر : جامع البيــان ٣٠/ ١٩٣ ، والدر المنثور ٨/ ٥١٨ ، وانظر أيضاً : معاني القرآن وإعرابه ٥/ ٣٢٧ ، وبحر العلوم ٣/ ٤٧٩ ، والكشــف والبيان ١٣/ ٩٥أ ، ومعالم التنزيل ٤/ ٤٨٨ ، وزاد المسير ٨/ ٢٥٠ ، وتفسير القرآن العظيم ٤/ ٥٤٦ . ومنهم مَن شــذَّ فقال : إنها مدنية ، وهو قول الواســطي . قال القرطبي في الجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ٦٠ : «والأول أصح ؛ لأن الســورة نزلت بمكة باتفاق» ، وقال الشــوكاني في فتح القدير ٥/ ٤٤٢ : «وهو مع كونه خلاف إجماع المفسرين ، هو أيضاً مدفوع بكون الســورة مكية لا مدنية» . وعليه ، ما ذكر من الإجماع فصحيح ، ولا عبرة في من شــذ ، وقد رُدَّ من الأئمة ، والله أعلم . وذكر الماوردي في تفســيره ٦/ ٢٧٤ أن البلد الحرام مكة ، وساق قولاً آخرَ ، هو أنه الحرم كله .

٢. قوله تعالى: ﴿وَأَنتَ حِلٌّ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ﴾. قال الليث: «الحِلُّ: الرجل الحلال الذي خرجَ من إحرامه ولم يحرم»[(١)].

قال أبو إسحاق: «يقال: رَجُلٌ حِلٌّ وحَلالٌ مُحِلٌّ، وكذلك رَجُلٌ حِرْمٌ، وحَرامٌ ومُحْرِمٌ»[(٢)].

وقال[(٣)] مجاهد: «أحلت للنبي ﷺ أن يصنع فيها ما يشاء»[(٤)].

وقال قتادة: «أنت به حل لست بآثم»[(٥)(٦)].

قال مقاتل: «وأنت حل أن تقتل بمكة مَن شئت من الكفار»[(٧)].

قال المفسرون: «أحل لنبيه ﷺ[(٨)] مكة يوم الفتح حتى قاتل، وقتل، وقد قال ﷺ: «لا تحل لأحد قبلي، ولا تحل لأحد بعدي، ولم تحل لي إلَّا ساعة من نهار»[(٩)].

---

(١) تهذيب اللغة (حلل) ٣/ ٤٣٧.

(٢) معاني القرآن وإعرابه ٥/ ٣٢٧.

(٣) في (أ): (قال).

(٤) جامع البيان ٣٠/ ١٩٤، وورد بمعناه في النكت والعيون ٦/ ٢٧٤، وزاد المسير ٨/ ٢٥٠، وفتح القدير ٥/ ٤٤٣.

(٥) بياض في (ع).

(٦) تفسير عبدالرازق ٢/ ٣٧٣، جامع البيان ٣٠/ ١٩٥، التفسير الكبير ٣١/ ١٨٠، الجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ١٩٥، تفسير القرآن العظيم ٤/ ٥٤٦، الدر المنثور ٨/ ٥١٨، وعزاه إلى عبد بن حميد وابن المنذر، وابن أبي حاتم، فتح القدير ٥/ ٤٤٣.

(٧) بمعناه في تفسيره ٢٤٠أ، قال: «﴿لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ﴾ يعني مكة، ﴿وَأَنتَ حِلٌّ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ﴾ يعني ما أحلها لأحد قبلك ولا بعدك، وإنما أحللتها لك ساعة في النهار».

(٨) في (أ): (عليه السلام).

(٩) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح في كتاب العلم ١/ ٥٦ ح ١١٢، باب (٣٩) من حديث أبي سلمة عن أبي هريرة، ولفظ البخاري في صحيحه في كتاب الديات ٤/ ٢٦٨ ح ٦٨٨٠، باب (٨): «ألا وإنها لم تحل لأحد قبلي، ولم تحل لأحد بعدي، ألا وإنها حلت لي ساعة من نهار»، ومسلم في =

وهـذا قول ابـن عبـاس[١] ، وعطـاء[٢] ، (والكلبي[٣] ، وابـن زيد[٤] ، والضحاك[٥])[٦] .

والمعنى : إن الله -تعالى- لمّا ذكر القسـم بمكة دلَّ ذلك على عظم قدرها مع كونهـا حراماً ، فوعد نبيه ﷺ أن يحلها له حتى يقاتل فيها ، وأن يفتحها على يده ، وهذا وعد من الله بأن يحلها له ، حتى تكون بها[٧] حلاً[٨] .

وهذا اعتراض بين القسم وما نسق عليه ، وهو قوله (تعالى)[٩] :

٣. ﴿وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ﴾ . (هذا الذي ذكرنا قول عامة أهل التفسير)[١٠] .

= صحيحـه في كتـاب الحـج ٢/ ٩٨٦ ، ٩٨٨ ، ٩٨٩ ح ٤٤٥ ، ٤٤٧ ، ٤٤٨ ، باب (٨٢) ، وأحمد في المسـند ١/ ٢٥٣ ، ٢٥٩ ، ٣١٦ ، وقـال ابن حجر في الكافي ٤/ ١٨٤ : «متفـق عليه من حديث أبى سلمة عن أبي هريرة ، وله طرق وألفاظ» .

(١) جامـع البيان ٣٠/ ١٩٤ ، والنكـت والعيـون ٦/ ٢٧٤ ، والمحرر الوجيز ٥/ ٤٨٣ ، وزاد المسـير ٨/ ٢٥٠ ، والجامـع لأحكام القـرآن ٢٠/ ٦٠ ، والبحر المحيط ٨/ ٤٧٤ ، والـدر المنثور ٨/ ٥١٦ منسوباً إلى ابن مردويه ، وابن أبي حاتم .

(٢) جامـع البيان ٣٠/ ١٩٥ ، وبحر العلوم ٣/ ٤٧٩ ، والدر المنثور ٨/ ٥١٨ منسـوباً إلى عبد بن حميد ، وابن أبي حاتم .

(٣) لم أعثر عليه في ما لدي من مصادر .

(٤) جامع البيان ٣٠/ ١٩٥ ، والجامع لأحكام القرآن ٣٠/ ٦١ ، وتفسير القرآن العظيم ٤/ ٥٤٦ ، والدر المنثور ٨/ ٥١٨ .

(٥) جامع البيان ٣٠/ ١٩٥ ، وتفسير القرآن العظيم ٤/ ٥٤٦ .

(٦) ما بين القوسين ساقط من نسخة (أ) .

(٧) في (أ) : (ما) .

(٨) من قوله : (فوعد نبيه . . .) إلى قوله : (بها حلاً) نسـبه ابن الجوزي في زاد المسير ٨/ ٢٥٠ ، ٢٥١ إلى المفسرين ، وانظر : فتح القدير ٥/ ٤٤٣ .

(٩) ما بين القوسين ساقط من (ع) .

(١٠) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

قال الحسن : «﴿وَأَنتَ حِلٌّ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ﴾ ؛ أي أنت مقيم فيه[١] ، وهو محلك ، ومعناه التنبيه على شرفه ، بشرف مَن حل فيه من الرسول الداعي إلى توحيد الله ، وإخلاص العبادة له ؛ المبشر بالثواب ، والمنذر بالعقاب» .

وذكر المُبرِّد هذا القول ، فقال : «ويقال : حِل : تأويله حَال ؛ أي سَاكن»[٢] .

وذكر قولاً آخرَ : «وهو أن المعنى أن الكفار من أهل مكة يحرمون أن يقتلوا بها صيداً ، أو[٣] يعضدوا بها شجرة ، ويستحلون إخراجك وقتلك» .

وهذا يروى عن شُرَحْبيل بن سعد[٤] .

---

(١) لم أعثر على مصدر لقوله ، وقد ورد نحوه غير منسوب في الجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ٦١ ، ولباب التأويل ٤/ ٢٧٩ .

(٢) لم أعثر على مصدر لقوله .

(٣) في (أ) : (و) .

(٤) ورد قوله في الكشف والبيان ١٣/ ٩٥ب ، ومعالم التنزيل ٤/ ٤٨٨ ، والمحرر الوجيز ٥/ ٤٨٣ ، والكشاف ٥/ ٢١٢ ، والتفسير الكبير ٣١/ ١٨٠ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ٦١ ، والدر المنثور ٨/ ٥١٨ منسوباً إلى سعيد بن منصور ، وابن المنذر .

وأمَّا قوله : ﴿وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ﴾ فهو عطف على القسم ، والمراد بـ(الوالد وما ولد) آدم وذريته ، وهو قول : مجاهد[١] ، (ومقاتل[٢])[٣] ، وقتادة[٤] ، (والضحاك[٥] ، والكلبي[٦] ، وعطاء عن ابن عباس[٧] ، والحسن[٨])[٩] .

قال الفرَّاء : «وصلحت (مَا) للناس ، كقوله : ﴿مَا طَابَ لَكُم﴾ [النساء :٣] ، ومثله كثير[١٠] ، قال : ويجوز أن يجعل (مَا) مع الذي بعدها في معنى مصدر ، كأنه قيل : ووالد وولادته ، كقوله : ﴿وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا﴾ [الشمس :٥]»[١١] .

---

(١) ورد نحوه في تفسير مجاهد ٧٢٩ ، وجامع البيان ٣٠/ ١٩٥ ، والكشف والبيان ١٣/ ٩٥ب ، والنكت والعيون ٦/ ٢٧٥ ، والمحرر الوجيز ٥/ ٤٨٣ ، وزاد المسير ٨/ ٢٥١ ، وحاشية الجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ٦١ ، والبحر المحيط ٨/ ٤٧٥ ، وتفسير القرآن العظيم ٤/ ٥٤٧ ، والدر المنثور ٨/ ٥١٩ ، ونسبه الشوكاني في فتح القدير ٥/ ٤٤٣ إلى الفريابي وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم ، وجميعها بلفظ : (آدم وولده) ، وأخرجه البخاري معلقاً عليه في كتاب التفسير (سورة البلد) ٦/ ٨٣ .

(٢) تفسير مقاتل ٢٤٠أ .

(٣) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٤) تفسير عبدالرزاق ٢/ ٣٧٣ ، وجامع البيان ٣٠/ ١٩٥ ، والكشف والبيان ١٣/ ٩٥ب ، والنكت والعيون ٦/ ٢٧٥ ، وزاد المسير ٨/ ٢٥١ ، وحاشية الجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ٦١ ، وتفسير القرآن العظيم ٤/ ٥٤٧ ، وفتح القدير ٥/ ٤٤٣ ، وجميعها بلفظ : (آدم وولده) .

(٥) المراجع السابقة عدا تفسير عبدالرزاق . قال ابن كثير في تفسير القرآن العظيم ٤/ ٥٤٧ : «والذي ذهب إليه مجاهد وأصحابه حسن قوي ؛ لأنه ـ تعالى ـ لمّا أقسم بأم القرى ، وهي أم المساكن ، أقسم بعده بالساكن ، وهو آدم أبو البشر وولده» .

(٦) لم أعثر على مصدر لقوله .

(٧) المستدرك ٢/ ٥٢٣ ، وصحَّحه الحاكم عن ابن عباس .

(٨) الجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ٦١ ، وتفسير القرآن العظيم ٤/ ٥٤٧ ، وفتح القدير ٥/ ٤٤٣ ، وتفسير الحسن البصري ٢/ ٤١٩ .

(٩) ما بين القوسين ذكر بدلاً من تعدادهم لفظ : وغيرهم في نسخة (أ) .

(١٠) نحو قوله تعالى : ﴿وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ﴾ [الليل :٣] ، وقوله : ﴿وَلَا تَنكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُم مِّنَ النِّسَاءِ﴾ [النساء :٢٢] .

(١١) معاني القرآن ٣/ ٢٦٣ ، ٢٦٤ بتصرف .

وروى عكرمة عن ابن عباس : «(الوالد) : الـذي يلد ، (وما ولد) : العاقر الذي لا يلد»[١] .

وعلى هذا (ما) تكون نفياً ؛ كأنه قيل : ووالد غير والد ، ولا يصح هذا القول إلَّا بإضمار الموصول ، كأنه قيل : ووالد والذي ما ولد ، وذلك لا يجوز عند البصريين[٢][٣] .

وقال في رواية العوفي : «الوالد وولده ، يعني كل والد ، وكل مولود»[٤] .

وروي عن أبي عمران الجَوْنِي أنه قال : «يعني إبراهيم[٥] وولده»[٦] .

---

(١) جامع البيان ٣٠/ ١٩٥ ، والكشف والبيان ١٣/ ٩٥ب ، والنكت والعيون ٦/ ٢٧٥ ، وبمعناه في المحرر الوجيز ٥/ ٤٨٣ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ٦٢ ، وتفسير القرآن العظيم ٤/ ٥٤٧ ، وغرائب التفسير ٢/ ١٣٤٢ ، وقد عَدَّه الكرماني من العجيب في التأويل .

(٢) انظر : الدر المصون ٣٠/ ٥٢٤ ، والكشف والبيان ١٣/ ٩٥ب ، والجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ٦٢ ، وفتح القدير ٥/ ٤٤٣ ، والبحر المحيط ٨/ ٤٧٥ .

(٣) البصريون: هم أصحاب المدرسة النحوية بالبصرة ، الذين نشأ النحو على أيديهم وتطور . وضعوا قواعدهم على الأعم الأغلب مما نقل عن العرب ، من ذلك : التشدد في السماع ، فلا يأخذون إلَّا من ثقات العربية ، ولا يعتمدون الشاهد النحوي مقياساً إلَّا إذا جرى على ألسنة العرب ، وكثر استعمالهم له ، وغير ذلك من القواعد ، وهم أسبق من أصحاب المدرسة الكوفية ، وأكثر تشدداً منهم . ومن علماء المذهب البصري : أبو عمرو بن العلاء ، والخليل بن أحمد ، وسيبويه ، وقطرب ، والأخفش الأوسط ، والمازني ، والمُبرِّد . انظر : المدارس النحوية لشوقي ضيف ١١ وما بعدها ، ومعجم المصطلحات النحوية والصرفية لمحمود اللبدي ٢١-٨٧ .

(٤) الكشف والبيان ١٣/ ٩٥ب ، والجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ٦٢ ، وهو اختيار الطبري في جامع البيان ٣٠/ ١٩٦ .

(٥) (إبرهم) في كلتا النسختين .

(٦) جامع البيان ٣٠/ ١٩٦ ، والكشف والبيان ١٣/ ٩٥ب ، والنكت والعيون ٦/ ٢٧٥ ، والمحرر الوجيز ٥/ ٤٨٣ ، وزاد المسير ٨/ ٢٥١ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ٦١ ، والدر المنثور ٨/ ٥١٩ منسوباً إلى ابن أبي حاتم .

قال مقاتل : «أقسم الله -تعالى- بمكة ، وبآدم وذريته»[١] ، فقال :

٤. (قوله تعالى)[٢] : ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ﴾ . قال ابن عباس في رواية مِقْسَم : «قائماً على قدميه منتصباً»[٣] .

وهو قول أبي صالح[٤] ، وإبراهيم[٥] ، والضحاك[٦] ، وعبدالله بن شداد[٧])[٨][٩] ، وعكرمة[١٠] ، (ورواية عطاء عن ابن عباس[١١])[١٢] ، قالوا :

---

(١) لم أعثر على مصدر لقوله .

(٢) ما بين القوسين ساقط من (ع) .

(٣) ورد معنى قوله من غير ذكر طريق مِقْسَم في المحرر الوجيز ٥/ ٤٨٤ ، ولباب التأويل ٤/ ٣٨٠ ، والبحر المحيط ٨/ ٤٧٥ ، وتفسير القرآن العظيم ٤/ ٥٤٧ ، والدر المنثور ٨/ ٥١٩ منسوباً إلى الطبراني .

(٤) ورد معنى قوله في جامع البيان ٣٠/ ١٩٧ ، والكشف والبيان ١٣/ ٩٦أ ، والمحرر الوجيز ٥/ ٤٨٤ ، والبحر المحيط ٨/ ٤٧٥ .

(٥) ورد معنى قوله في تفسير الإمام مجاهد ٧٢٩ ، وجامع البيان ٣٠/ ١٩٧ ، والكشف والبيان ١٣/ ٩٦أ .

(٦) ورد معنى قوله في جامع البيان ٣٠/ ١٩٧ ، ومعالم التنزيل ٤/ ٤٨٨ ، وزاد المسير ٨/ ٢٥٢ ، والبحر المحيط ٨/ ٤٧٥ ، وتفسير القرآن العظيم ٤/ ٥٤٨ ، والمحرر الوجيز ٥/ ٤٨٤ .

(٧) لعله يريد به عبدالله بن شَدَّاد المديني ، أبو الحسن الأعرج ، كان من تجار واسط ، صدوق ، روى له الجماعة . انظر : تهذيب الكمال ١٥/ ٨٥ت ٣٣٣١ .

(٨) ورد قوله في الكشف والبيان ١٣/ ٩٦أ ، والمحرر الوجيز ٥/ ٤٨٤ ، والبحر المحيط ٨/ ٤٧٥ .

(٩) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(١٠) ورد معنى قوله في جامع البيان ٣٠/ ١٩٧ ، والكشف والبيان ١٣/ ٩١أ ، ومعالم التنزيل ٤/ ٤٨٨ ، وزاد المسير ٨/ ٢٥٢ ، وتفسير القرآن العظيم ٤/ ٥٤٧ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ٦٢ .

(١١) وردت روايته عن طريق مِقْسَم في بحر العلوم ٣/ ٤٧٩ ، والكشف والبيان ١٣/ ٩٦أ ، وزاد المسير ٨/ ٢٥٢ ، والدر المنثور ٨/ ٥٢٠ ، ووردت من غير ذكر طريق عطاء في النكت والعيون ٦/ ٢٧٥ ، والتفسير الكبير ٣١/ ١٨٣ .

(١٢) ما بين القوسين ذكر بدلاً منه في (أ) بلفظ : (وغيرها) .

«معتدلاً ، ومنتصباً[١] ، وكل شيء خلق يمشي على أربع إلَّا الإنسان ، فإنه خلق منتصباً» .

قال المُنذري : «سمعت أبا طالب يقول : الكبد : الاستواء والاستقامة»[٢][٣] .

وقال الوالبي عن ابن عباس : (في نصب[٤][٥] ، وهو قول مجاهد[٦] ، وسعيد بن جبير[٧] ، والحسن[٨] ، قالوا : «في شدة» .

قال الحسن : «لم يخلق الله خلقاً يكابد ما يكابد ابن آدم»[٩] .

---

(١) في (أ) : (منتصباً) من غير واو .

(٢) في (أ) : (الإقامة) .

(٣) تهذيب اللغة (كبد) ١٠/ ١٢٧ ، وانظر : لسان العرب ٣/ ٣٧٦ .

(٤) ساقط من (أ) .

(٥) ورد قوله في جامع البيان ٣٠/ ١٩٦ ، والكشف والبيان ١٣/ ٩٥ب ، ومعالم التنزيل ٤/ ٤٨٨ ، وزاد المسير ٨/ ٢٥١ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ٦٢ ، ولباب التأويل ٤/ ٢٧٩ ، وصحيفة علي بن أبي طلحة ٥٣٣ .

(٦) تفسير الإمام مجاهد ٧٢٩ ، وزاد المسير ٨/ ٢٥١ ، والدر المنثور ٨/ ٥١٩ منسوباً إلى الفريابي ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم .

(٧) المراجع السابقة عدا تفسير مجاهد ، وانظر : الكشف والبيان ١٣/ ٩٥ب ، ومعالم التنزيل ٤/ ٤٨٨ ، وزاد المسير ٨/ ٢٥١ ، وتفسير القرآن العظيم ٤/ ٥٤٧ ، ونسبه صاحب الدر إلى سعيد بن منصور ، وعبد بن حميد .

(٨) جامع البيان ٣٠/ ١٩٦ ، وزاد المسير ٨/ ٢٥١ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ٦٢ ، وتفسير الحسن البصري ٢/ ٤٢٠ .

(٩) ورد قوله في جامع البيان ٣٠/ ١٩٧ ، وبحر العلوم ٣/ ٤٨٠ ، والمحرر الوجيز ٥/ ٤٨٤ ، والدر المنثور ٨/ ٥٢٠ منسوباً إلى ابن المبارك في الزهد ، وعبد بن حميد ، وابن أبي حاتم . انظر : فتح القدير ٥/ ٤٤٣ ، وتفسير الحسن البصري ٢/ ٤٢٠ .

قال أخوه سعيد[١] : «يكابد مصائب الدنيا ، وشدائد الآخرة»[٢] .

ونحو هذا قال قتادة : «يكابد أمر الدنيا والآخرة ، فلا تلقاه إلَّا في مشقة»[٣] .

وروى عن ابن جُرَيْج ، عن (عطاء ، عن[٤] ابن عباس قال : «يعني حمله ، وولادته ، ورضاعه ، وفصاله ، ونبت أسنانه ، وختانه ، ومعاشه ، وموته ، كل ذلك بشدة»[٥] .

ونحو هذا روى (القاسم[٦] بن أبي بزة[٧])[٨] ، عن مجاهد قال : «﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا﴾ [الأحقاف :١٥] ، ومعيشته في شدة ، فهو يكابد ذلك»[٩] .

---

(١) سعيد بن أبي الحسن ، واسمه يَسار الأنصاري ؛ مولاهم ، البصري ، أخو الحسن البصري ، روى عن ابن عباس ، وروى عنه أخوه الحسن البصري ، ثقة ، توفي قبل الحسن سنة ١٠٠هـ ، وروى له الجماعة . انظر : تاريخ الثقات ١٨٢ت ٥٣٦ ، والتاريخ الكبير ٣/ ٤٦٢ت ١٥٣٨ ، والكاشف ١/ ٢٨٣ ، ت ١٨٨٥ .

(٢) الوسيط ٤/ ٤٨٩ ، وقد وردت الرواية من طريقه عن أخيه الحسن البصري في بحر العلوم ٣/ ٤٧٩ ، والكشف والبيان ١٣/ ٩٥ب ، والنكت والعيون ٦/ ٢٧٦ ، ومعالم التنزيل ٤/ ٤٨٨ ، وتفسير القرطبي ٢٠/ ٦٢ ، وتفسير ابن كثير ٤/ ٥٤٧ .

(٣) تفسير عبدالرزاق ٣/ ٣٧٣ ، وجامع البيان ٣٠/ ١٩٦ ، ومعالم التنزيل ٤/ ٤٨٨ ، والدر المنثور ٨/ ٥١٩ منسوباً إلى عبد بن حميد .

(٤) ساقط من (أ) .

(٥) ورد بمعناه في جامع البيان ٣٠/ ١٩٧ ، وبحر العلوم ٣/ ٤٨٠ ، والكشف والبيان ١٣/ ٩٥ب ، ومعالم التنزيل ٤/ ٤٨٨ ، ولباب التأويل ٤/ ٣٨٠ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ٦٢ ، وتفسير القرآن العظيم ٤/ ٥٤٧ ، والدر المنثور ٨/ ٥١٩ منسوباً إلى الفريابي ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم . انظر : المستدرك للحاكم في كتاب التفسير (سورة البلد) ٢/ ٥٢٣ ، وصحَّحه ، ووافقه الذهبي .

(٦) في (ع) : (القسم) .

(٧) (بزة) غير واضحة في (ع) .

(٨) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٩) وردت روايته من غير ذكر طريق القاسم عن أبي بزة في تفسير القرآن العظيم ٤/ ٥٤٧ ، وورد نحوه عن ابن جريج في النكت والعيون ٦/ ٢٧٦ .

وذكر الكلبي[١] ، والفرَّاء[٢] القولين جميعاً .

وعلى هذا (الكبد من مكابدة الأمر ، وهي معاناة شدته[٣] ، ومشقته ، والرجل يكابد الليل ، إذا قاسى هَوله وصعوبته)[٤][٥] .

وقال أهل المعاني : «الكبد شدة الأمر ، ومنه تكبد اللبن ، إذا غلظ واشتد ، ومنه الكبد : كأنه دم[٦] يغلظ ويشتد ، فالإنسان مخلوق في شدة مكونة[٧] في رحمه ، ثم في القماط ، والرباط ، ثم على خطر (عظيم)[٨] عند بلوغه حال التكليف ، ومكابدة المعيشة ، والأمر والنهي ، فينبغي [له][٩] أن يعلم أن الدنيا دار مشقة وكد ، وأن الجنة هي دار الراحة والنعمة»[١٠] .

ومن المفسرين مَن يذهب[١١] بالكبد إلى شدة الخلق والقوة ، وهو قول الكلبي ، قال : «نزلت في رجل من بني جمح[١٢] ، كان يكنى أبا الأشدين ، وكان

(١) لم أعثر على مصدر لقوله .
(٢) معاني القرآن ٣/ ٢٦٤ .
(٣) ذكره الأزهري في تهذيب اللغة (كبد) ١٠/ ١٢٧ بتصرف ، وانظر : لسان العرب (كبد) ٣/ ٣٧٦ .
(٤) ومن قوله : (الرجل يكابد . . .) إلى قوله : (وصعوبته) من قول الليث . انظر : المرجعين السابقين .
(٥) ما بين القوسين منقول من تهذيب اللغة (كبد) ١٠/ ١٢٧ .
(٦) في (أ) : (ولم) .
(٧) في (أ) : (ركمه) .
(٨) ما بين القوسين ساقط من (أ) .
(٩) ما بين المعقوفين ساقط من (أ) .
(١٠) لم أعثر على مصدر لقولهم .
(١١) في (أ) : (ذهب) .
(١٢) بنو جمح : بطن بني هصيص من قريش من العدنانية ، النسبة إليهم جمحي . انظر : نهاية الأرب للقلقشندي ٢٠٢ ، ومعجم قبائل العرب لمحمد رضا كحالة ١/ ٢٠٢ ، ونهاية الأرب للنويري ٢/ ٣٥٦ .

يجعل تحت قدميه الأديم (العكاظي)[١] ، ثم يأمر العشرة فيجتذبونه من تحت قدميه ، فيتمزق (الأديم)[٢] ، ولم تزل قدماه»[٣] . ونحو هذا قال مقاتل[٤] .

وعلى هذا الكبد من الشدة التي هي بمعنى القوة ، وغلظ القول[٥] ، والخلق .

قال المُبرِّد : «يقال : فلان يكابد الأمر ، إذا كان يدافعه بشدة»[٦] ، وأنشد أبو عبيدة قول لبيد :

عَيْنُ هَلَّا بَكَيْتِ أَرْبَدَ إِذْ قُمْنَا وقَامَ الخُصومُ في كَبَدِ[٧][٨]

(١) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٢) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٣) ورد غير منسوب في التفسير الكبير ٣١/ ١٨٣ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ٦٣ ، ولباب التأويل ٤/ ٣٨٠ .

(٤) الكشف والبيان ١٣/ ٩٦أ ، ومعالم التنزيل ٤/ ٤٨٨ ، وانظر : نهاية الأرب للقلقشندي ٢٠٢ ، ولم أعثر على قوله في تفسيره .

(٥) في (ع) : (القوة) .

(٦) جاء في حاشية الكامل ٣/ ١٣٩٤ قول المُبرِّد ، قال : «والكبد : الشدة والمشقة» .

(٧) ورد البيت في ديوانه ٥٠ ، طبعة دار صادر . انظر : تهذيب اللغة (كبد) ١٠/ ١٢٧ ، ولسان العرب ٣/ ٣٧٦ ، وجامع البيان ٣٠/ ١٩٨ ، والكشف والبيان ١٣/ ٩٦أ ، والنكت والعيون ٨/ ٢٧٦ ، والمحرر الوجيز ٥/ ٤٨٤ ، والكشاف ٤/ ٢١٣ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ٦٢ ، وروح المعاني ٣٠/ ١٣٥ ، والكامل ٣/ ١٣٩٤ ، والخصائص ٢/ ٢٠٥ ، ٣/ ٣١٨ ، والدر المنثور ٨/ ٥٢٠ ، والإتقان ٢/ ٥٧ ، وجمهرة أشعار العرب لأبي زيد القرشي ٢١ ، تحقيق البجاوي .

(٨) ورد قوله في مجاز القرآن ٢/ ٢٩٩ .

أي في شـــدة وعناء[١] ، ويجوز أن يكون في شدة وقوة للدفع ، ويدل على هذا المعنى قوله :

٥. ﴿أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ﴾ . قال الفرَّاء : «أيحسب بشدته أن لن يقدر عليه أحد ؟ والله قادر عليه»[٢] .

وهو قول الكلبي ، قال : «أيظن من شـــدته أن لـــن يقدر عليه أحد ، وأن لن يعاقبه الله ؟»[٣] .

٦. ثم أخبر عن مقالة هذا الإنسان ، فقال : ﴿يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا﴾ .

قال أبو عبيدة : «لبداً : فُعَلٌ من التلبُّد ، وهو المال الكثير بعضه على بعض»[٤] .

قال أبو إسحاق :«وفُعَلٌ للكثرة ، يقال : رجل حُطَم إذا كان كثير الحَطْمِ»[٥] .

وقال الفرَّاء : «واحدتُهُ لُبْدة ، ولُبَد جماع ، وقال : وجعل بعضهم واحداً على جهة قُثَّم وحُطَم ، وهي في الوجهين جميعاً الكثير»[٦] .

قـــال الليث : «قال : لبـــد لا يخاف فناءه من كثرته»[٧] ، وذكرنا تفســـير هذا الحرف عند قوله : ﴿يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ [الجن :١٩] .

---

(١) تهذيب اللغة (كبد) ١٠/ ١٢٧ .

(٢) معاني القرآن ٣/ ٢٦٤ .

(٣) الوسيط ٤/ ٤٨٩ .

(٤) مجاز القرآن ٢/ ٢٩٩ .

(٥) معاني القرآن وإعرابه ٥/ ٣٢٨ .

(٦) لم أعثر على قوله في معانيه ، وانظر : تهذيب اللغة (لبد) ١٤/ ١٢٩ ، والتفسير الكبير ١/ ١٨٣ ، ولسان العرب ٣٠/ ٣٨٧ ، وقد سبق بيان قراءة (لبداً) في الآية ١٩ من سورة الجن .

(٧) لم أعثر على مصدر لقوله ، وقد ورد نحوه غير منسوب في لسان العرب (لبد) ٣٠/ ٣٨٧ .

وجميع المفسرين قالوا في (اللبد) : «إنه الكثير المجتمع»[١] .

قال الكلبي[٢] ، ومقاتل[٣] : «يقول أهلكت في عداوة محمد مالاً كثيراً» .

٧. ﴿أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ﴾ . قال عطاء عن ابن عباس : «أيحسب أن لم ير الله عمله ؟»[٤] .

ونحو هذا قال مقاتل : «أيحسب أن لم يطلع الله على مَا عمل ؟»[٥] .

ومعنى هذا التهديد باطلاع الله على ما عمل ، كما قال قتادة : «أيظن أن الله لم يره ، ولا يسأله عن ماله : من أين كسبه ؟ وأين أنفقه ؟»[٦] .

---

(١) قال بذلك قتادة ، وابن عباس ، ومجاهد ، وابن زيد ، والحسن ، والسُّدِّي ، وغيرهم . انظر : جامع البيان ٣٠/ ١٩٨ ، وتفسير القرآن العظيم ٤/ ٥٤٧ . وبه قال الزَّجَّاج في معاني القرآن وإعرابه ٥/ ٣٢٨ ، وابن قتيبة في تفسير غريب القرآن ٥٢٨ ، والسجستاني في نزهة القلوب ٣٩٢ ، ولم يذكر الطبري في جامع البيان ٣٠/ ١٩٨ قولاً مخالفاً ، قال : «وبنحو الذي قلنا قال أهل التأويل» ، وقال به أيضاً الثعلبي في الكشف والبيان ١٣/ ٩٦أ ، وانظر أيضاً : معالم التنزيل ٤/ ٤٨٩ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ٦٤ ، ولباب التأويل ٤/ ٣٨٠ ، والمفردات في غريب القرآن ٤٤٦ ، ونفس الصباح ٢/ ٧٨٢ ، وتحفة الأريب ٢٧٦ . وقد ذكر الماوردي في النكت والعيون ٦/ ٢٧٧ قولاً محتملاً ، قال : «ويحتمل أن يكون المعنى مالاً قديماً لاشتقاقه من الأبد ، أو للمبالغة في قدمه في عهد لَبد ، لأن العرب تضرب المثل في القدم بـ(لبد) . وذكر قدمه لطول بقائه ، وشدة ضنِّه به» . قلت : وهذا الاحتمال بعيد عن مفهوم الآية ، وهو ضعيف ، وعليه لا يعده الإمام الواحدي قولاً مخالفاً ؛ بل لا يعد أن له وجوداً ، ولهذا حكى الإجماع .

(٢) زاد المسير ٨/ ٢٥٢ ، وفتح القدير ٥/ ٤٤٣ ، وذكره القرطبي في الجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ٦٤ عن ابن عباس .

(٣) فتح القدير ٥/ ٤٤٣ ، وورد بمعناه في الكشف والبيان ١٣/ ٩٦ب ، والمحرر الوجيز ٥/ ٤٨٤ ، وزاد المسير ٨/ ٢٥٢ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ٦٤ ، وتفسير مقاتل ٢٤٠ب ، قال : «لبداً يعني مالاً كثيراً» .

(٤) لم أعثر على مصدر لقوله .

(٥) تفسير مقاتل ٢٤٠ب .

(٦) تفسير عبدالرزاق ٢/ ٣٧٣ ، وجامع البيان ٣٠/ ١٩٩ ، والكشف والبيان ١٣/ ٩٦ب ، ومعالم =

وقال الكلبي : «كان كاذباً ، لم ينفق ما قال ، فقال الله : أيظن ما رأى الله ذلك منه فعل أو لم يفعل ، أنفق أو لم ينفق ؟»[١] .

واختاره الفرَّاء ، فقال : «﴿أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ﴾ في إنفاقه ، يقول : أنفقت وهو كاذب»[٢] .

قال مقاتل : (ثم ذكره النعم ليعتبر ، فقال[٣] :

٨. ﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ﴾)[٤] . قال أبو إسحاق : «(أي)[٥] ألم نفعل به ما يُستدل به على أن الله قادر على أن يبعثه ، وأن يحصي عليه ما يعمله ؟»[٦] .

٩. (قوله تعالى)[٧] : ﴿وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ﴾ . قال الليث : «الشَّفة حُذِفَتْ منها (الهاء) ، وتصغيرها : شُفَيْهة ، والجميع شِفاه ، وإذا ثلثوا قالوا : شفهات[٨] ، وشَفهوات ، (والهاء) أقيس ، (والواو) أعم ؛ لأنهم شبهوه بالسنوات[٩] ، ونقصانها حذف (هَائها)»[١٠] .

= التنزيل ٤و/ ٤٨٩ ، والتفسير الكبير ٣١/ ١٨٣ ، ١٨٤ ، وتفسير القرآن العظيم ٤/ ٥٤٧ ، وفتح القدير ٥/ ٤٤٤ .

(١) معالم التنزيل ٤/ ٤٨٩ ، والتفسير الكبير ٣١/ ١٨٤ ، وفتح القدير ٥/ ٤٤٤ .

(٢) معاني القرآن ٣/ ٢٦٤ بتصرف .

(٣) في (أ) : (فقال قوله) .

(٤) ما بين القوسين من قول مقاتل ، انظر : تفسيره ٢٤٠ب .

(٥) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٦) معاني القرآن وإعرابه ٥/ ٣٢٨ بنصه .

(٧) ما بين القوسين ساقط من (ع) .

(٨) في (أ) : (شفهات) .

(٩) في (أ) : (بالسموات) .

(١٠) تهذيب اللغة ٦/ ٨٥ ، ٨٦ ، وانظر : لسان العرب (شفه) ١٣/ ٥٠٦ .

قال الأزهري : «والعرب تقول : هذه شَفُةٌ في الوصَل ، وشفهٌ أيضاً بـ (الهاء)»[١] .

١٠. وقوله : ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾ . النجد معناه في اللغة ما ارتفع من الأرض ، وأشرف ، ونجد : هو ما ارتفع عن انخفاض تِهَامة ، وكل عَال من الأرض نجد ، والنجد الطريق في ارتفاع[٢] .

قال ابن عباس[٣] ، والمفسرون : «يريد بيَّنَّا له طريق الخير ، وطريق الشر» .

وهو قول عبدالله[٤] ، (وعلي[٥])[٦] ، ومجاهد[٧] ، ومقاتل[٨] (والكلبي[٩])[١٠] ، قالوا : «يعني سبيله الخير والشر والطاعة ، والمعصية ، كقوله : ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾[الدهر :٣]» .

---

(١) انظر : المرجعين السابقين .

(٢) انظر : المرجعين السابقين ، وانظر أيضاً : الصحاح (نجد) ٢/ ٥٤٢ ، وتاج العروس (نجد) ٢/ ٥٠٨ ، ٥٠٩ .

(٣) جامع البيان ٣٠/ ٢٠٠ ، والمحرر الوجيز ٥/ ٤٨٤ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ٦٥ ، والبحر المحيط ٨/ ٤٧٦ ، وتفسير القرآن العظيم ٤/ ٥٤٧ .

(٤) تفسير عبدالرزاق ٢/ ٣٧٤ ، وجامع البيان ٣٠/ ١٩٩ ، وبحر العلوم ٣/ ٤٨٠ بمعناه ، والمحرر الوجيز ٥/ ٤٨٤ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ٦٥ ، والبحر المحيط ٨/ ٤٧٦ ، وتفسير القرآن العظيم ٤/ ٥٤٧ ، والدر المنثور ٨/ ٥٢١ منسوباً إلى الفريابي ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، وتفسير الطبراني ٩/ ٢٧٥ . انظر : المستدرك في كتاب التفسير (سورة البلد) ٢/ ٥٢٣ ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٧/ ١٣٨ : «رواه الطبراني بإسنادين ، وفيه عاصم بن أبي النجود ، وهو ثقة ، وفيه ضعف ، وبقية رجاله رجال الصحيح» .

(٥) ورد قوله من طريقه عن ابن عباس في جامع البيان ٣٠/ ١٩٩ ، ومن طريقه في الدر المنثور ٨/ ٥٢٢ .

(٦) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٧) جامع البيان ٣٠/ ٢٠٠ .

(٨) تفسير مقاتل ٢٤٠ب ، وبحر العلوم ٣/ ٤٨٠ .

(٩) لم أعثر على مصدر لقوله .

(١٠) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

قال أبو إسحاق : «المعنى : ألم نُعرِّفه طريق الخير والشر بَيِّنَيْنِ كتبيين الطريقين العَاليين ؟»[١] .

وروى عيسى بن عقال[٢] ، عن أبيه[٣] ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ٱلنَّجْدَيْنِ﴾ قال : «الثديين»[٤] . وهو قول سعيد بن المسيب[٥] ، والضحاك[٦] ، والقول هو الأول[٧] ؛ لبُعْد أن يراد بالنجدين الثديان ، ومَن قال ذلك ذهب إلى أنهما[٨] كالطريقين لحياة الولد ورزقه ، والله -تعالى- هدى الطفل الصغير حتى ارتضعهما ، فهو قوله : ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾ .

---

(١) ورد نحوه في معاني القرآن وإعرابه ٥/ ٣٢٩ .

(٢) عيسى بن عقال البجلي ، عن أبيه ، روى عنه القاسم بن مالك في الكوفيين ، وسكت عنه البخاري في تاريخه ، وكذا ابن أبي حاتم ، وذكره ابن حبان في الثقات . انظر : كتاب الجرح والتعديل ٦/ ٢٨٣ : ت ١٥٦٩ ، والتاريخ الكبير ٦/ ٤٠٣ : ت ٢٧٨٦ ، والثقات ٨/ ٤٩٠ .

(٣) لم أعثر له على ترجمة .

(٤) ورد قوله في جامع البيان ٣٠/ ٢٠١ ، والكشف والبيان ١٣/ ٩٧ب ، كما ورد نحوه من طريق محمد بن كعب عن ابن عباس بمثله في تفسير عبدالرزاق ٢/ ٣٧٤ ، ومعالم التنزيل ٤/ ٤٨٩ ، كما ورد قوله من غير ذكر الطريق في زاد المسير ٨/ ٢٥٣ ، والتفسير الكبير ٣١/ ١٨٤ ، ولباب التأويل ٤/ ٣٨٠ ، والبحر المحيط ٨/ ٤٧٦ ، وتفسير القرآن العظيم ٤/ ٥٤٨ ، والدر المنثور ٨/ ٥٢٢ منسوباً إلى عبد بن حميد ، وابن أبي حاتم .

(٥) معالم التنزيل ٤/ ٤٨٩ ، وزاد المسير ٨/ ٢٥٣ ، والتفسير الكبير ٣١/ ١٨٤ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ٦٥ ، والبحر المحيط ٨/ ٤٧٦ ، وفتح القدير ٥/ ٤٤٤ .

(٦) المراجع السابقة عدا التفسير الكبير ، وانظر : جامع البيان ٣٠/ ٢٠١ ، وقد عَدَّه الكرماني في التفسير ٢/ ١٣٤٣ من الغريب .

(٧) وهو الذي رجَّحه أيضاً الطبري في جامع البيان ٣٠/ ٢٠١ ، وابن كثير في تفسير القرآن العظيم ٤/ ٥٤٨ ، والشوكاني في فتح القدير ٥/ ٤٤٤ .

(٨) في (أ) : (أنها) .

١١. قوله : ﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ﴾ . قال (ابن قتيبة[١] و)[٢] الأزهري[٣] : «أي فلا هو اقتحم ، يعني الإنسان المذكور ، (والاقتحام الدخول في الأمر الشديد ، وهو المهالك ، ويقال قَحمَ يَقْحَمُ قُحُوماً ، واقتحم اقتحاماً ، وتقحم تقحُّماً ، إذا ركب القحم ، وهي المهالك ، والأمور العِظام)[٤] ، (والعقبة : طريق في الجبل وعر ، والجميع : العقب والعقاب)»[٥] .

قال عطاء : «يريد عقبة جهنم»[٦] .

وقال الكلبي : «هي عقبة بين الجنة والنار»[٧] .

وقال ابن عمر رضي الله عنه : «هي جبل زلال[٨] في جهنم»[٩] .

---

(١) ذكره ابن قتيبة في تفسير غريب القرآن ٥٢٨ ، وكلامه : «قال : فلا هو اقتحم العقبة» .

(٢) ما بين القوسين ساقط من نسخة (أ) .

(٣) ذكره الأزهري في تهذيب اللغة (قحم) ٤/ ٧٧ ، قال : «أي قل : هو اقتحم العقبة» .

(٤) ما بين القوسين منقول عن تهذيب اللغة (قحم) ٤/ ٧٧ ، وانظر : لسان العرب (قحم) ١٢/ ١٦٢ ، ١٦٣ .

(٥) ما بين القوسين تناول المعنى اللغوي للعقبة . انظر ذلك في : تهذيب اللغة ١/ ٢٨٢ ، ولسان العرب (عقب) ١/ ٦٢١ .

(٦) التفسير الكبير ٣١/ ١٨٤ .

(٧) التفسير الكبير ٣١/ ١٨٤ ، وورد قوله في الكشف والبيان ١٣/ ٩٧أ ، وزاد المسير ٨/ ٢٥٤ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ٦٧ ، وفتح القدير ٥/ ٤٤٤ .

(٨) زلال : لعله أراد أنه سريع النزول منه ، كما يقال : ماء زلال ، وزليل : سريع النزول والمر في الحلق ، والله أعلم . انظر : لسان العرب (زلل) ١١/ ٣٠٧ .

(٩) ورد قوله في جامع البيان ٣٠/ ٢٠١ ، والكشف والبيان ١٣/ ٩٨أ ، والنكت والعيون ٦/ ٢٧٨ ، ومعالم التنزيل ٤/ ٤٨٩ ، وزاد المسير ٨/ ٢٥٤ ، والتفسير الكبير ٣١/ ١٨٤ ، ولباب التأويل ٤/ ٣٨٠ ، والدر المنثور ٨/ ٥٢٢ منسوباً إلى ابن أبي شيبة ، وابن أبي حاتم .

وقال الضحاك[١] ، ومجاهد[٢] : «هي الصراط يضرب على جهنم» ، وهو معنى قول الكلبي : «عقبة بين الجنة والنار» .

وقال قتادة : «إنها قحمة شديدة ، فاقتحموها بطاعة الله»[٣] .

هذا كلام المفسرين في تفسير هذه العقبة المذكورة هاهنا[٤] .

قال المُبرِّد[٥] ، والفرَّاء[٦] ، وأبو عبيدة[٧] ، (والزَّجَّاج[٨])[٩] : «معنى ﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ﴾ فلم يقتحم» .

قال الفرَّاء[١٠] ، والزَّجَّاج[١١] : «ولم يضم إلى قوله : ﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ﴾ كلاماً آخر فيه (لا) ، والعرب قَلَّ ما تتكلم في مثل هذا المكان[١٢] إلَّا بـ (لا) مرتين أو أكثر ، لا تكاد تقول : لا حييتني ، تريد مَا حييتني ، فإن قال : لا حييتني ، ولا بررتني صلح . كما قال الله تعالى : ﴿فَلَاصَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ﴾ [القيامة :٣١] ، واكتفى هاهنا بواحدة ؛

---

(١) ورد قوله في الكشف والبيان ، والنكت والعيون ، ومعالم التنزيل ، وزاد المسير ، وانظر : الجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ٦٧ .

(٢) المراجع السابقة عدا النكت والعيون .

(٣) جامع البيان ٣٠/ ٢٠١ ، والكشف والبيان ١٣/ ٩٨أ ، والحجة ٦/ ٤١٤ ، وفتح القدير ٥/ ٤٤٤ .

(٤) أيضاً من الأقوال في معنى العقبة : (قال كعب : هو سبعون درجة في جهنم) . جامع البيان ٣٠/ ٢٠٢ .

(٥) الجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ٦٦ ، وفتح القدير ٥/ ٤٤٤ .

(٦) لم أعثر على مصدر لقوله .

(٧) مجاز القرآن ٢/ ٢٩٩ .

(٨) معاني القرآن وإعرابه ٥/ ٣٢٩ .

(٩) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(١٠) معاني القرآن ٣/ ٢٦٤ ، ٢٦٥ .

(١١) معاني القرآن وإعرابه ٥/ ٣٢٩ .

(١٢) في (أ) : (للمكان) .

لأن المعنى يدل على التكرير ، وهو قوله : ﴿فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَٰمٌ﴾[١] ، ﴿ثُمَّ كَانَ﴾ كأنه قيل : فلا تفعل ذا ولا ذا ، ولا أمن» .

قال أبو علي الفارسي : «معنى ﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ﴾ لم يقتحمها ، وإذا كانت ﴿لَآ﴾ بمعنى ﴿لَمْ﴾ لم يلزم تكريرها ، كما لا يلزم التكرير مع ﴿لَمْ﴾ ، فإن تكررت في موضع نحو : ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ﴾ [القيامة :٣١] ، فهو كتكرير (لم) نحو : ﴿لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟﴾ [الفرقان :٦٧]»[٢] .

ويدل على صحة ما ذكر أبو علي ما أنشد أبو عبيدة ، والمُبرِّد[٣] :

وأيُّ خميسٍ لا أفَأنَا[٤] نِهابَه ... وأسيافُنا يَقْطُرْنَ منْ كَبْشِهِ دَمَا[٥]

يعني : لم يفر ، ولم يكرر (لا) .

وأما ما ذكرنا عن المفسرين في تفسير العقبة ، فغير متوجه هاهنا ؛ لأنَّ[٦] من المعلوم أن هذا الإنسان وغيره لم يقتحموا عقبة جهنم ، ولا جاوزوها ، فإذاً لا معنى لحملها على عقبة في الآخرة ، ولكن الصحيح أن ذكر العقبة هاهنا مَثَلٌ ضربه الله (تعالى)[٧] لمجاهدة النفس والشيطان في أعمال البر ، (وهذا مذهب الحسن ومقاتل)[٨] .

---

(١) في النسختين ، وفي معاني الفرَّاء : (طعم) .
(٢) الحجة ٦/ ٤١٥ بنصه .
(٣) الكامل ٢/ ١٠٤٤ ، ولم أجده في مجاز القرآن .
(٤) في (أ) : (أفا) .
(٥) البيت لطرفة بن العبد . سبق ذكره ، انظر تفسير سورة القيامة ؛ الآية : ٣١
(٦) في (أ) : (إلا) .
(٧) ما بين القوسين ساقط من (أ) .
(٨) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

قال الحسن : «عقبة الله شـــديدة ، ومجاهدة الإنسان نفســـه وهواه ، وعدوه والشيطان»[(١)] .

وقال مقاتل : «هـــذا مثل ضربه الله ؛ يريد أن المعتـــق رقبة ، والمطعم تقاحم نفسه وشـــيطانه ، مثل مَن يتكلف صعود العقبة ، فشبه المعتق رقبة في شدته عليه بالمتكلف صعود العقبة»[(٢)] .

وهذا مذهب أبي عبيدة ، فقد قـــال : «لم يقتحم العقبة في الدنيا»[(٣)] ، فبيَّن أن هذه العقبة في الدنيا ، وهي ما ذكر الله من بعدُ ، فقال :

١٢ـ١٣ . ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡعَقَبَةُ﴾ . قال ابن عباس : «يريد اقتحام العقبة»[(٤)] .

قال أبو علي : «لا بد من تقدير هذا المحـــذوف ؛ لأنه لا يخلو[(٥)] من أن تقدِّر حذف هذا المضاف ، أو لا تقدِّره ، فإن لم [تقدِّره][(٦)] ، وتركت الكلام على ظاهره كان المعنـــى : العقبة : فك رقبة ، ولا تكـــون العقبة الفك ؛ لأنـــه عَيْنٌ ، والفك حدث[(٧)] ، والخبر ينبغـــي أن يكون المبتدأ في المعنى ، وإذا لم يســـتقم[(٨)] هذا كان المضـــاف مراداً ، فيكون المعنى : اقتحام العقبة فكُّ رقبةٍ ، أو إطعامُ ، أي اقتحامها

---

(١) النكـــت والعيون ٦/ ٢٧٨ بمعناه ، والكشـــاف ٤/ ٢١٣ ، والتفســـير الكبـــير ٣١/ ١٨٥ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ٦٧ .

(٢) تفسير مقاتل ٢٤٠ب ، والتفســـير الكبير ٣١/ ١٨٥ ، وقد رجَّح الفخر الرازي هذا القول في التفسير الكبير ٣١/ ١٨٥ ، وقال الماوردي في النكت والعيون ٦/ ٢٧٩ : «وهو أشـــبه بالصواب» ، وكذا قال القرطبي في الجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ٦٨ .

(٣) مجاز القرآن ٢/ ٢٩٩ .

(٤) لم أعثر على مصدر لقوله .

(٥) (لا يخلوا) في كلتا النسختين .

(٦) في كلتا النسختين (تقدر) ، والمثبت من مصدر القول هو (الحجة) .

(٧) في (أ) : (حديث) .

(٨) (لم يستفهم) هكذا ورد في أصل الكلام ، وهو (الحجة) .

أحد هذين ، أو هذا الضرب من فعل القُــرَب ، ومثل هذا قوله : ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ ۝٥ نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ﴾ [الهمزة :٥-٦] ؛ أي الحطمة نار الله»[١] .

ونحو هذا قال الزَّجَّاج[٢] .

المعنــى : اقتحام العقبة فــك رقبة ، أو إطعام ؛ فالمضــاف محذوف من الآية الأُولى ، والمبتدأ محذوف من قوله ﴿فَكُّ رَقَبَةٍ﴾ على ما بيَّنَّا وشرحنا .

(وفكُّ الرقبة : تخليصها من إسار الرق ، وفكُّ الرهن ، وفِكاكه : تخليصه من غَلَــق الرهن ، وكل شيء أطلقته فقد فككته ، ومنــه فكُّ الكتاب ، وهو أن تأخذ السحانة[٣] فتلويها حتى ينفك ختامها[٤]) .

وقال أهل المعاني : «الفكُّ فرق يزيل المنع ، كفكِّ القيد والغلِّ ، وفك الرقبة ، وفرق بينها وبين حال الرق بإيجاب الحرية ، أو إبطال العبودية»[٥] .

قال الفرَّاء في المصادر : «فكَّها يفكُّها فَكاكاً ، بفتح الفاء في المصدر ، ولا تقل بكسرها»[٦] .

---

(١) انتهى كلام أبي علي الفارسي في الحجة ٦/ ٤١٤ .

(٢) معاني القرآن وإعرابه ٥/ ٣٢٩ بمعناه .

(٣) لعله يراد بالسحانة : السَّــحْن ، وهو أن تدلك خشبة بمسحن حتى تلين من غير أن تأخذ من الخشبة شيئاً . انظر : تهذيب اللغة (سحن) ٤/ ٣١٩ .

(٤) ما بين القوســين منقول عن الأزهري من تهذيب اللغة (فك) ٩/ ٤٥٩ ، وانظر : لسان العرب (فك) ١٠/ ٤٧٥ .

(٥) لم أعثر على مصدر لقولهم ، غير أني وجدت نحوه من غير نسبة في التفسير الكبير ٣١/ ١٨٥ .

(٦) لم أعثر على مصدر قوله في معانيه ، ولكنه ورد في التفسير الكبير ٣١/ ١٨٥ .

١٤. وقوله[١] : ﴿أَوْ إِطْعَٰمٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ﴾ . قال أبو عبيدة : «ذي مجاعة»[٢] ؛ (يقال سَغِبَ يَسْغَبُ سَغباً : إذا جاع ، فهو سَاغِبٍ وسَغْبَان ذو مَسْغَبةٍ)[٣] .

قال ابن عباس : «يريد بالمسغبة الجوع»[٤] .

قال مجاهد[٥] ، وعكرمة[٦] : «ذو مجاعة» .

وقال الحسن : «يوم محروص فيه على الطعام»[٧] .

قال أبو علي : «وجاز أن يوصف اليوم بهذا ، كما جاز أن يقال : ليل نائمٌ ، ونهار صَائمٌ ، ونحو ذلك»[٨] . (هذا)[٩] الذي ذكرنا قراءة العامة[١٠] .

---

(١) في (أ) : (قوله) .

(٢) مجاز القرآن ٢/ ٢٩٩ .

(٣) ما بين القوسين قول الليث نقله عن تهذيب اللغة ٨/ ٤١ بتصرف ، وانظر : لسان العرب (سغب) ١/ ٤٦٨ ، وتاج العروس (سغب) ١/ ٢٩٩ .

(٤) ورد في جامع البيان ٣٠/ ٢٠٣ ، وتفسير القرآن العظيم ٤/ ٥٤٩ ، والدر المنثور ٨/ ٥٢٥ منسوباً إلى الفريابي ، وعبد بن حميد ، وابن أبي حاتم ، وكلها برواية : (يوم مجاعة) .

(٥) المراجع السابقة برواية : (الجوع) ، وانظر : جامع البيان ٣٠/ ٢٠٤ .

(٦) المراجع السابقة عدا الدر المنثور .

(٧) التفسير الكبير ٣١/ ١٨٦ .

(٨) ورد في الحجة ٦/ ٤١٥ بنصه .

(٩) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(١٠) قرأ عاصم ، وابن عامر ، ونافع ، وحمزة ﴿فَكُّ رَقَبَةٍ﴾ بالإضافة ، و﴿أَوْ إِطْعَٰمٌ﴾ بالرفع . انظر : السبعة في القراءات ٦٨٦ ، والقراءات وعلل النحويين فيها ٢/ ٧٧٧ ، والحجة ٦/ ٤١٣ ، والمبسوط ٤١٠ ، وحجة القراءات ٧٦٤ ، والكشف ٢/ ٣٧٥ ، والتبصرة ٧٢٧ ، وإتحاف فضلاء البشر ٤٣٩ .

وقرأ أبو عمرو ، والكسائي : (فكَّ رقبةً) بفتح الكَاف ، (أو (أطعم) بغير ألف[١])[٢] .

(قال الفرَّاء)[٣] : «وهو أشبه الوجهين بصحيح العربية ، لقوله : ﴿ثُمَّ كَانَ﴾ ، وهو أشكل (بفك) و(أطعم) ، والفك والإطعام اسم ، فينبغي أن يرد على الاسم اسم مثله ، فلو قيل : (ثم إن كان) كان أشكل للإطعام ؛ لأنه حينئذٍ يكون بمعنى المصدر ، وهذا وجه القراءة الأُولى مع قوله : ﴿ثُمَّ كَانَ﴾ ، وهو أن يضمر (أن) وتُلقى ، فيكون مثل قول الشاعر[٤] :

ألا أيُّهذا الزاجري أَحْضرَ الْوَغَى وأَنْ أَشْهَدَ اللذَّاتِ هَلْ أنتَ مُخْلِدِ[٥]

ألا (ترى)[٦] أن ظهور (أن) في آخر الكلام يدل على أنها معطوفة على أخرى مثلها في أول الكلام ، وقد حذفها»[٧] .

---

(١) قرأ بذلك أيضاً ابن كثير . انظر : المراجع السابقة .

(٢) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٣) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٤) البيت لطرفة بن العبد البكري من معلقته .

(٥) ورد البيت أيضاً في كتاب سيبويه ٣/ ٩٩ ١٠٠ ، وشرح أبيات سيبويه ١٦٩ ، والمقتضب ٢/ ٨٥ ، والمدخل ٣٠١ ، رقم ٣١٥ ، ولسان العرب (أنن) ١٣/ ٣٢ ، ومغني اللبيب ٢/ ١٧ ، رقم ٦١٦ ، وشرح ابن عقيل ٤/ ٢٤ ، رقم ٣٣٣ . وانظر أيضاً : شرح أبيات معاني القرآن للفرَّاء ١١٥ ، رقم ٢٤٠ ، ولم أجده في ديوانه . والشاهد : (أحضُرَ) حذف (أن) الناصبة ، وانتصاب الفعل بعدها ، وفي حذفها ونصب الفعل بعد حذفها خلاف بين الكوفيين والبصريين ، فالكوفيون يُجيزون النصب قياساً حينئذٍ ، واستدلوا بهذا البيت ، بدليل العطف : (أن أشهد) عليه ، فدل على أنها تنصب مع الحذف . ومعنى البيت : هل أنت مُبقيَّ يا مَن يلومني في حضور الحرب ، لئلا أُقتل ، وفي أن أنفق مالي في الفتوة ، ولا أخلفه لغيري المراجع السابقة . وانظر : المقتضب ٢/ ٨٥ .

(٦) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٧) ورد في معاني القرآن ٣/ ٢٦٥ بتصرف . ولتفصيل هذه المسألة النحوية ، انظر : المصادر الآنف ذكرها ، مثل : كتاب سيبويه ٣/ ٩٩ ، والمقتضب ٢/ ٨٥ ، وشرح ابن عقيل ٤/ ٢٤ ، وغيرها . وخلاصة القول فيها : ذهب الكوفيون إلى أنَّ (أن) الخفيفة تعمل في الفعل المضارع النصب مع الحذف من غير =

وقال أبو علي : «مَـن قرأ : (فكَّ رقبةً * أو أطعمَ) فإنه يجوز أن يكون ما ذكر من الفعل تفسـيراً لاقتحـام العقبة ، وقد جـاء : ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ﴾ [آل عمـران :٥٩] ، ثم فَسَّرَ المثل بقولـه : ﴿خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ﴾ [آل عمران :٥٩] ، فكذلك قول مَن قال : (فك رقبة * أو أطْعَم)» .

قـال : «ومَن احتج لهذه القراءة بقولـه : ﴿ثُمَّ كَانَ﴾ فقال : [كأنه لما][1] كان فعلاً يجب أن يكون المعطوف عليه مثله ، كان هذا وجهاً حسناً» .

وقد يجوز أن يكون قوله : ﴿ثُمَّ كَانَ﴾ كالقطع من الأول ، والاستئناف ، كأنه أعلـم أن فكَاك الرقبة من الرق من الذين آمنوا ؛ لأنـه بالإيمان يجوز ثواب ذلك ويجوزه ، فإذ لم ينضم الإيمان إلى فعل القرب التي تقدم ذكرها لم ينفع ذلك[2] .

١٥. قولـه تعالى : ﴿يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ﴾ . قال أبو إسـحاق : «معنـاه ذا قرابة ، تقول : زيد ذو قرابتي ، وذو مقربتي[3] ، (وزيدٌ قرابتي)[4] قبيح ، لأن القرابة المصدر ، قال الشاعر[5] :

يبكي الغريبُ عليهِ ليسَ يعرفُهُ وذو قرابتِهِ في الحيِّ مسرورُ»[6][7] .

= بَـدَل ، وذهب البصريون إلى أنها لا تعمل مع الحذف من غير بدل ، وقد عرض كلٌّ منهما أدلته . راجع ذلك في الإنصاف ٢/ ٥٥٩-٥٧٠ .

(١) في النسختين : (لما كان كان) ، وأثبت ما جاء في الحجة : (لانتظامه) .

(٢) ورد في الحجة ٦/ ٤١٥ ، ٤١٦ بتصرف يسير .

(٣) في (أ) : (ذوا) .

(٤) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٥) قيـل : هو ابن لبيد العذري ، وقيل : هو الحارث بن جبلة ، وقيل : هو عبيد بن شرية . انظر : الإصابة ٦/ ١٠٢ت ٦٣٩١ ، وشواهد المغني ١١٨ ، ٢٤٥ ، طبعة بيروت ، وأخبار النحويين البصريين ٣١ ، وقد نسبه السيرافي إلى شيخ من أهل نجد كان أسنَّهم .

(٦) ورد البيت في المراجع السابقة .

(٧) ورد في معاني القرآن وإعرابه ٥/ ٢٢٩ ، ٢٣٠ بنصه .

قال مقاتل : «يعني يتيماً بينه وبينه قرابة»[١] .

١٦. وقوله : ﴿أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾ . قال أبو عبيدة[٢] ، والمُبرِّد[٣] ، (والزَّجَّاج[٤])[٥] : «﴿أَوْ مِسْكِينًا﴾ قد لصق بالتراب من فقره وضره . يقال : ترب الرجل ، إذا افتقر حتى يلصق بالتراب»[٦] .

قال عطاء : «يريد قد لصق بالتراب ، فليس فوقه ما يستره ، ولا تحته ما يوطئه»[٧] .

وروى مجاهد عن ابن عباس قال : «هو المطروح في التراب لا يقيه شيء»[٨] .

---

(١) ورد في تفسير مقاتل ٢٤٠ب ، والتفسير الكبير ٣١/ ١٨٧ ، وورد نحوه من غير نسبة في بحر العلوم ٣/ ٤٨١ ، ومعالم التنزيل ٤/ ٤٩٠ .

(٢) مجاز القرآن ٢/ ٢٩٩ ، وكلامه : «قال : قد لزق بالتراب» .

(٣) لم أعثر على مصدر لقوله .

(٤) ذكره الزَّجَّاج في معاني القرآن وإعرابه ٥/ ٣٣٠ ، وكلامه : «يعني أنه من فقره قد لصق بالتراب» .

(٥) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٦) انظر : تهذيب اللغة (ترب) ١٤/ ٢٧٤ ، والصحاح ١/ ٩١ ، ولسان العرب ١/ ٢٢٩ .

(٧) لم أعثر على مصدر لقوله ، وقد ورد نحوه غير منسوب في التفسير الكبير ٣١/ ١٨٧ .

(٨) ورد نحوه في جامع البيان ٣٠/ ٢٠٤ ، والنكت والعيون ٦/ ٢٧٩ ، ومعالم التنزيل ٤/ ٤٩٠ ، وزاد المسير ٨/ ٤٥٥ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ٧٥ ، ولباب التأويل ٤/ ٣٨١ ، وتفسير القرآن العظيم ٤/ ٥٤٩ ، والدر المنثور ٨/ ٥٢٥ منسوباً إلى الفريابي ، وسعيد بن منصور ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، والمستدرك في كتاب التفسير : (سورة البلد) ٢/ ٥٢٤ ، وقال عنه : «صحيح» ، ووافقه الذهبي .

روى[١] أبو صالح أن ابن عباس مرَّ بمسكين لاصق التراب ذي حاجة، فقال: «هذا الذي قال الله: ﴿أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾»[٢]، ونحو هذا قال جماعة المفسرين[٣].

والمتربة: مصدر قولهم: تَرِبَ يتربُ تَرَباً ومَتْرَبةً، مثل مَسْغَبة، إذا افتقر حتى لصق بالتراب ضراً[٤].

ثم بيَّن أن هذه القرب إنما تنفع مع الإيمان، فقال:

١٧. ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾؛ أي كان مقتحم العقبة، وهو فاك الرقبة، والمطعم من الذين آمنوا، فإنه إن لم يكن منهم لم ينفعه قربة، لإحباط الكفر لها.

فإن قيل: أليس من شرط صحة هذه القرب، ووقوعها من الله بمكان القبول: الإيمان، فهلَّا قدَّم الإيمان عليها، وثم للتراخي، فقوله: ﴿ثُمَّ كَانَ﴾ يوجب الإيمان إذا تراخى عن هذا القرب صحت دونه؟

والجواب عن هذا أن يقال: هذا التراخي في الذكر، لا في الوجود والترتيب[٥]؛ لأن المعنى أنه فعل هذه الأشياء وهو مؤمن معها.

---

(١) في (أ): (أنه) بدلاً من (روي عن ابن عباس).

(٢) ورد بمعناه في معاني القرآن ٣/ ٢٦٦، والتفسير الكبير ٣١/ ١٨٧.

(٣) وإلى معنى القول: (ذو اللصوق بالتراب) ذهب مجاهد في تفسيره ٧٣١، وعكرمة في جامع البيان ٣٠/ ٢٠٤، ٢٠٥. انظر: النكت والعيون ٦/ ٢٧٩، والدر المنثور ٨/ ٥٢٥، وبه قال ابن قتيبة في تفسير غريب القرآن ٥٢٩، والثعلبي في الكشف والبيان ١٣/ ٩٨ب، والسمرقندي في بحر العلوم ٣/ ٤٨١، والسجستاني في نزهة القلوب ٤١٦، وانظر أيضاً: المفردات ٧٣.

(٤) انظر: لسان العرب (ترب) ١/ ٢٢٨.

(٥) انظر تفصيل ذلك في: مغني اللبيب ١/ ١٩٧.

وكذا ذكر المفسرون[١] ، فقالوا : «ثم كان مع ذلك من الذين آمنوا ، وقد قال :

إِنَّ مَنْ سَادَ ثُمَّ سَادَ أَبُوهُ ثُمَّ قَدْ سَادَ قَبْلَ ذَلِكَ جَدُّهْ»[٢] .

لم يرد بقوله : ثم ساد التأخير ، وإنما المعنى : ثم اذكر أنه ساد أبوه ، كذلك في الآية ، على أنه يجوز أن يحمل على الظاهر بمعنى : ثم كان في عاقبة أمره من الذين آمنوا ، وهو أن يموت مؤمناً ، فإن مَن كانت موافاته على الإيمان نفعته القرب ، ومن لا ، فلا ، ويجوز فيه وجه آخر ، وهو أن مَن أتى هذه القرب تقرباً إلى الله ، وابتغاء وجهه ، وهو غير مؤمن بمحمد عليه السلام ثم آمن به (أُجِر)[٣] على ما سلف له من الخير . يدل على صحة هذا ما روي أن حكيم بن حِزام بعد ما أسلم ، قال لرسول الله : «إنَّا كنَّا نتحنث[٤] بأعمال في الجاهلية ، فهل لنا فيها شيء ؟» فقال رسول الله ﷺ : «أسلمت على ما قدَّمت من الخير»[٥] .

---

(١) قال بذلك الثعلبي في الكشف والبيان ١٣/ ٩٩أ .

(٢) البيت لأبي نواس الحسن بن هانئ في ديوانه ٤٩٣ برواية :

قُلْ لِمَنْ سَادَ ثُمَّ سَادَ أَبُوه قَبْلَهُ ثُمَّ قَبْلَ ذلكَ جَدُّهْ

وورد البيت غير منسوب في التفسير الكبير ٣١/ ١٨٧ ، ومغني اللبيب ١/ ١٩٧ ش ١٧٤ ، وغرائب التفسير ١/ ٢٦٠ .

(٣) ما بين القوسين ساقط من (ع) .

(٤) تَحَنَّث : تعبَّد واعتزل الأصنام . انظر : الصحاح (حنث) ١/ ٢٨٠ ، والقاموس المحيط (حنث) ١/ ١٦٥ . وجاء في فتح الباري ٣/ ٣٠٢ : «التحنث : الإحسان ، وعمل الخير من الحنث ، وهو الإثم ، يقال : تحنث ؛ أي ألقى عنه الإثم» .

(٥) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه ١/ ٤٤٣ ، ٤٤٤ ح ١٤٣٦ في كتاب الزكاة ، باب (٢٤) ، واللفظ كما هو عند البخاري : عن حكيم بن حزام ـ رضي الله عنه ـ قال : قلت : يا رسول الله ، أرأيت أشياء كنت أتحنَّثُ بها في الجاهلية ؛ من صدقة ، أو عَتاقة ، ومن صلة رحم ، فهل فيها من أجر ؟ فقال النبي ﷺ : «أسلمت على ما سلف من خير» .

وورد أيضاً في كتاب البيوع ٢/ ١١٩ ح ٢٢٢٠ ، باب (١٠٠) ، وكتاب العتق ٢/ ٢١٨ ح ٢٥٣٨ ، باب : (١٢) ، وكتاب الأدب ٤/ ٩٠ ح ٥٩٩٢ . قال المازني : «ظاهره : أن الخير الذي أسلفه كتب له ، =

وقوله: ﴿وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ﴾؛ أي على فرائض الله وأمره. قاله ابن عباس[١]، ومقاتل[٢].

(قوله)[٣]: ﴿وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْمَرْحَمَةِ﴾. فالأمر في ما بينهم، والتراحم لليتيم، والمسكين، والضعيف. وهذا من صفة أصحاب النبي ﷺ: أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعبدالرحمن بن عوف، أي كان من الجملة الذين هذه صفتهم.

ثم ذكر أن هؤلاء منهم، فقال:

١٨. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ﴾. وتفسير أصحاب الميمنة قد سبق في سورة الواقعة[٤]، وكذلك تفسير أصحاب المشأمة الذين ذكروا هاهنا في قوله:

١٩. ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ﴾ قد تقدَّم هناك[٥].

= والتقدير: أسلمت على قبول ما سلف لك من خير»، وأخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان ١/ ١١٣ ح ١٩٤، ١٩٥، باب (١١٤)، والإمام أحمد ٣/ ٤٠٢. انظر: التفسير الكبير ٣١/ ١٨٧، والبحر المحيط ٨/ ٤٧٦، وفتح القدير ٥/ ٤٤٥.

(١) لم أعثر على مصدر لقوله، وقد ورد نحوه غير منسوب في معالم التنزيل ٤/ ٤٩١، وزاد المسير ٨/ ٢٥٥، ولباب التأويل ٤/ ٣٨١.

(٢) ورد في تفسير مقاتل ٢٤١أ، وذكر نحوه السيوطي في الدر المنثور ٨/ ٥٢٦ عن هشام بن حسام.

(٣) ما بين القوسين ساقط من (ع).

(٤) عند قوله تعالى: ﴿فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ﴾ [الواقعة: ٨].

(٥) عند قوله تعالى: ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ﴾ [الواقعة: ٩]. ومما جاء في تفسير الآيتين السابقتين: يعني اليمين، وجمعها الميامن، وهي جوانب اليمين. وفي أصحاب الميمنة أربعة أقوال:
قال عطاء عن ابن عباس: «هم الذين يعطون كتابهم بأيمانهم».
وعن ابن عباس أيضاً: «هم الذين كانوا على يمين آدم حين أخرجت الذرية من صلبه».
وقال الحسن، والربيع: «هم الذين كانوا ميامين مباركين على أنفسهم، وكانت أعمارهم في طاعة الله عز وجل».
القول الرابع: «إنهم الذين يؤخذ بهم ذات اليمين إلى الجنة». =

٢٠. وقوله: ﴿عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌ﴾. قال جماعة المفسرين: «مطبقة»[١].

وقال الفرَّاء[٢]، وأبو عبيدة[٣]، والمُبرِّد[٤]، (والزَّجَّاج[٥])[٦]: «يقال: أَصَدْتُ البَابَ وأَوْصَدْتُهُ، إذا أغلقته وأطبقته، (فمَن قرأ: ﴿مُّؤْصَدَةٌ﴾ بالهمز[٧][٨]: أخذها من: أصدت[٩]، فهمز اسم المفعول، ويجوز أن يكون من أوصدت، ولكنها همز على لغة مَن يهمز (الواو) إذا كان قبلها ضمة نحو: مُؤسى»[١٠].

= المشأمة: يعني أصحاب الشمال، والمشأمة: اليسرى، يقال: اليد اليمنى، واليد الشومى، ومن هذا أخذ اليُمن والشؤم، واليمن والشام، وفي أصحاب المشأمة أربعة أقوال تضاد الأقوال التي ذكرنا في أصحاب الميمنة.

(١) قال بذلك ابن عباس، وقتادة، والضحاك بمعناه، وأبو هريرة، وعكرمة، وسعيد بن جبير، ومجاهد، ومحمد بن كعب، وعطية العوفي، والحسن، والسُّدِّي. انظر: تفسير عبدالرزاق ٢/ ٣٧٥، وجامع البيان ٣/ ٢٠٧، والنكت والعيون ٦/ ٢٨٠، وتفسير القرآن العظيم ٤/ ٥٥٠، والدر المنثور ٨/ ٥٢٦، وبه قال الطبري في جامع البيان ٣٠/ ٢٠٧، وبحر العلوم ٣/ ٤٨١، والكشف والبيان ١٣/ ٩٩أ. وانظر أيضاً: معالم التنزيل ٤/ ٤٩١، والمحرر الوجيز ٥/ ٤٨٦، والكشاف ٤/ ٢١٤، والجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ٨٢، ولباب التأويل ٤/ ٣٨١.

(٢) معاني القرآن ٣/ ٢٦٦، قال: «والموصدة تهمز ولا تهمز، وهي المطبقة».

(٣) مجاز القرآن ٢/ ٢٩٩، قال: «مطبقة، أصدتُ وأوصدت، وهو أطبقت».

(٤) التفسير الكبير ٣١/ ١٨٨.

(٥) معاني القرآن وإعرابه ٥/ ٣٣٠، واللفظ له.

(٦) ما بين القوسين ساقط من (أ).

(٧) في (أ): (فالهمز).

(٨) قرأ بذلك أبو عمرو، وحمزة، وحفص عن عاصم، ويعقوب، وخلف، وقرأ الباقون (مُوْصَدَة) بغير همز. انظر: السبعة في القراءات ٦٨٦، والقراءات وعلل النحويين فيها ٢/ ٧٧٧، والحجة ٦/ ٤١٦، والمبسوط ٤١٠، وحجة القراءات ٧٦٦، والتبصرة ٧٢٦، والوافي ٣٨٠.

(٩) في (أ): (أمررت).

(١٠) من بيت لجرير، وتمامه:

لَحَبَّ الواقدان إلى مؤسى ... وجَعْدَةُ لَوْ أضاءهما الوقودُ

وجعدة ابنته، ومؤسى ابنه، يمدح ولديه بالكرم والاشتهار به. والمعنى أنه لمّا أضاء إيقاد النار موسى =

(وكان أبو حية النميري يفعل ذلك)[١] ، وقد ذكرنا ذلك في ما تقدَّم[٢] .

ومَن لم يهمز ، احتمل أمرين :

أحدهما : أن يكون من لغة مَن قال : أوصدتُ ، فلم يهمز اسم المفعول ، كما يقال : من أوعدت موعود .

والآخر : أن يكون قد أصد مثل : آمن ، ولكنه خفف ، كما تقول في تخفيف جُؤْنَةٍ[٣] ، وبُؤسٍ ، ونُؤْيٍ : جونةٌ ، وبوس ، ونوى ، فيقلبها في التخفيف (واواً)[٤] .

قال الفرَّاء : «ويقال : من هذا الأصيد ، والوصيد ، وهو الباب المطبق»[٥] .

قال الليث : «الإصاد ، والوِصَاد ، والأُصِدة ، (بمنزلة الطبق ، يقال : أطبق عليهم الإصاد ، والوِصاد ، والأصدة»)[٦][٧] .

= وجعدة ، ورأيتها ذوي ضياء ونور وبهجة صارا محبوبين . انظر : ديوانه ١/ ٢٨٨ ، طبعة دار المعارف ، والخصائص ١/ ٥٦٧ ، وشرح أبيات المغني ٨/ ٧٦ ش ٩١٨ .

(١) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٢) ورد في الحجة ١/ ٢٣٩ ، وأيضاً جاء ذكره ذلك في سورة البقرة : ٣ .

(٣) جؤنة : سُلَيْلَةُ مستديرة مُغَشَّاة أدماً ، تكون مع العطارين ، وجمعها جوَنٌ . انظر : تهذيب اللغة (جون) ١١/ ٢٠٤ .

(٤) ما بين القوسين نقلاً عن الحجة ٦/ ٤١٦ ، ٤١٧ بتصرف .

(٥) معاني القرآن ٣/ ٦٦ .

(٦) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٧) ورد في تهذيب اللغة (وصد) ١٢/ ٢٢٢ بنصه ، وانظر : لسان العرب (وصد) ٣/ ٣٦٠ .

قال مقاتـــل : «﴿عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌ﴾ ؛ يعني أبواب مطبقة ، فلا يفتح لهم باب ، ولا يخرج منها غمٌّ ، ولا يدخل فيها روح آخر الأبد»[١] .

(والمؤصـــدة هي الأبواب ، وقـــد جرت صفة للنار على تقديـــر : عليهم نار مؤصدة الأبواب ، فلمَّا تركت الإضافة عاد التنوين ؛ لأنهما يتعاقبان)[٢] .

(١) ورد في التفسير الكبير ٣١/ ١٨٨ بلفظ : (قال : وهي جهنم) .

(٢) انظر : المراجع السابق .